

## طارق بن زياد

أورد ابن عذاري المراكشي في كتابه "البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب" أن نسب طارق بن زياد هو طارق بن زياد بن عبد الله بن لغو بن ورقجوم بن نير بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو... فهو نصري. وقد اختلف المؤرخون في نسبه، فهناك من يعتبره فارسيا همدانيا، وهناك من يدافع عن بربريته بأنه من موالي قبيلة نفزة البربرية. وقد قيل إن طارق: طويل القامة، ضخيم الهامة، أشقر اللون، وتنطبق هذه الصفات على عنصر البربر. "ومن المعروف أن طارق مولى مغربي أمازيغي لموسى بن نصير، وهو أيضا من البربر الزناتيين أو النفزاويين، وقد أسلم والد طارق منذ أيام عقبة بن نافع الفهري.

وقد كان طارق بن زياد حسب الروايات الأدبية والنقدية شاعرا مقلعا، إذ أورد له المقري في كتابه "نفع الطيب" بعض الأبيات الشعرية نقلًا عن الحجاري في المسهب وابن اليسع في المغرب، وهي:

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا      عسى أن يكون الله منا قد اشترى

نفوسا وأموالا وأهلا بجنة      إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا      إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

وقد قال عبد الله الجراري الدارس المغربي مقوما هذه الأبيات الشعرية: "... وقد اشتد شوق البرابرة وقوي شغفهم باللسان العربي الجديد ساعة ما أخذ القائد طارق يخاطب إخوانه بلون جديد من ألوان الكلام منشدا إخوانه قصيدته في الفتح... بل حسبنا أن نرى هذا اللون من الكلام المقفى والأسلوب المتزن الجديد الذي لا تفتأ تقاطيعه الشعرية ونبراته الغنائية ذات النوبات التفعيلية القارة تجتذب نفسية البربري وتحرك شوقه الحار لهذا النوع الطريف من القول الحافز بهدوئه الموسيقي إلى الإصغاء بقلب واع ونفس تواقعة للنسج على منواله الهندسي الدقيق رافعا مكانته في مقام الكلام إلى أسمى ذروة في الوزن والتقفية.

خطبة طارق بن زياد:

قال طارق بن زياد خطبة رائعة أثناء فتحه للأندلس بعد أن أحرق الأجنان والسفن التي حملتهم إلى الجبل المسمى باسمه (جبل طارق) قطعاً لأملهم في الهروب والرجوع والفرار، وتخفيفاً لهم على المواجهة والمقاتلة ومحاربة العدو. وبذلك تكون خطبة طارق بن زياد أقدم نص أدبي ثري وصل إلينا في الأدب المغربي. ومن ثم، يكون طارق بن زياد أول أديب أمازيغي متعرب أرسى دعائم الأدب المغربي ووطد أسسه الفنية والجمالية على مرتكزات أسلوبية آية في الروعة والبيان والتصوير الفني. ويقول عباس الجراري في هذا السياق: "وربما اعتمد الذين يقولون بوجود أدب في المغرب لأول عهده بالإسلام على الخطبة المشهورة التي ألقاها طارق بن زياد في الجيش المتوجه لفتح الأندلس. والحق أن الباحثين وقفوا بشأن هذه الخطبة مختلفين..."

ويذهب والدنا حفظه الله إلى أن جند طارق "كان في مجموعته يدرك مدلول ما احتواه الخطاب الحماسي العربي، وهو ما هو علواً في البيان والروعة والسمو يجعلنا نؤمن بأن برايرة المغرب لذلك العهد الإسلامي الفتى كان لهم إلمام واسع ومعرفة لا تقصر عن فهم أمثال هذا الخطاب الحربي البليغ الذي حول فزعهم ثباتاً وشجاعة واضطرابهم يقينا وصموداً.

ولما سمع الجيش خطبة طارق "أثرت فيه تأثيرها البليغ المشهود في اندفاعه إلى حومة الوغى، وتهافته على الموت بإيمان وحماس. فكيف يفسر هذا بغير سرعة انتشار العربية، كالسرعة التي انتشر بها الإسلام.

وإليك خطبة طارق بن زياد كما أوردها الأستاذ والباحث المغربي عبد الله ككون ونقحها في كتابه القيم "النبوغ المغربي في الأدب العربي":

"أيها الناس: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام. وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة. وأتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم. فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة. وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لنفوسكم بالموت وإني لم أحذركم أمراً أنا

عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس (من غير أن) أبدأ بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألد طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي. وقد بلغتكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا. تمة منه بارتياحكم للطعان، واستياحكم بمجادة الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم "الذريق" فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وان هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون.